



## الاتجاه الوظيفي

### النشأة

التيار الوظيفي من بين التيارات اللغوية التي ظهرت في العصر الحديث بعد سوسير، وقد أسسه كل من رومان جاكسون، وتريتسكوي، وقد ظهر هذا الاتجاه في فرنسا على يد مارتينييه وتطور على يديه كثيرًا.

### أهم الأفكار التي جاء بها أصحاب هذا الاتجاه

١. يهتم باللغة على أنها تنظيم وظيفي يتوخى الباحث اكتشافه من خلال دراسة مظاهر اللغة كلها.
٢. يهتم بالمستوى الصوتي اهتماما كبيرا، إذ يعطي للجانب الصوتي الأولوية في الدراسة اللغوية.
٣. ينظر إلى اللغة على أنها تنظيم متحرك ومتغير، في حين نظر إليها سوسير على أنها كيان أو تنظيم جامد وثابت.
٤. إن لكل لغة سمات مميزة لأصواتها قد تصل إلى اثنتي عشرة سمة ثنائية سمعية، ويرى جاكسون أن هذه السمات مستودع تختار منه كل لغة تنظيمها

الصوتي المتميز الذي يعطي للغة خصوصياتها وصفاتها المغايرة لغيرها من اللغات.

## ومن أهم رواد هذا الاتجاه وأهم أفكاره

### ١. رومان جاكبسون

أحد علماء الروس ولد عام ١٨٩٦م في موسكو، درس في مدارسها وجامعاتها، وتخصص في دراسة القواعد المقارنة بين اللغة الروسية وبقه اللغة السلافية، وله اهتمامات أخرى لعل من أبرزها (محاضرات سوسير)، وبناء على هذه الاهتمامات حاول أن يطرح مبادئه في نادي موسكو الألسني، الذي شارك بتأسيسه عام ١٩١٥م، فأدخل المنهج البنيوي في دراسة النقد الأدبي.

وقد ذهب جاكبسون إلى مدينة براغ فأسس مع نخبة من العاملين في حقل اللغة والأدب مدرسة براغ وسموها(نادي براغ الألسني) في ١٩٢٠، وقد عقد مؤتمرا في سنة ١٩٢٨م مع زميليه(كراتشوفسكي) و(تروبتسكوي) أعلنوا فيه مصطلح البنيوية.

وقد رحل جاكبسون إلى أمريكا في سنة ١٩٤٢م واستقر فيها وبت آراءه الألسنية من خلال مؤلفاته التي طرحها لعل من أبرزها.

(تحليل صوتي للغة الروسية)١٩٤٣م، و(الأصوات المفخمة في اللغة العربية)١٩٥٧م، و(دروس في الصوت والمعنى)١٩٧٣م.

### أهم أفكار جاكبسون

١. التأكيد على (علم وظائف الأصوات)، والتمسك بقضية تأريخية الصوت وحركيته، مخالفا في ذلك سوسير.

٢. التركيز على وظيفة كل صوت في داخل بناء اللغة ونظامها.

٣. التمييز بين الفونيم والصوت، فالفونيم مصطلح ألسني يدخل في ميدان الشكل، أما الصوت فهو مصطلح ألسني يدخل في ميدان الجوهر والمادة.
٤. التمييز بين الدراسة اللغوية التي تركز على دراسة القواعد العامة التي تقع في مقدمة وظائف الأنظمة الصوتية لكل لغة ويسمونه بـ (علم الوظائف)، وبين الدراسة اللغوية التي تهتم بجوهر الصوت ومادته داخل نظام معين، ويسمونه بـ(علم الأصوات).
٥. التمييز بين نوعين من اللغات، اللغة المعيارية: وهي اللغة المحايدة التي تلفظ وتكتب بقصد توصيل رسالة(معلومة) معينة حسب، وهي تتوخى الدقة والنفعية والبعد عن الجماليات، وبين اللغة الأدبية (أو الشعرية) ومزيتها عكس السابقة، إذ تضمن المجاز والخيال والتفنن .

## ٢. روبرت فيرث

عالم من علماء اللغة الغربيين ويمثل مدرسة لندن في دراسة اللغة، ولد في مدينة بورشير البريطانية في سنة ١٨٩٠م، ودرس التاريخ ثم التحق بالخدمة الوطنية وجاب مختلف أنحاء الامبراطورية البريطانية خلال الحرب العالمية الأولى، وقد استقر بالهند مدة طويلة، وقد تعلم بعض اللغات الشرقية .

وقد درس فيرث الإنكليزية بجامعة البنجاب في الهند من سنة ١٩١٩م حتى سنة ١٩٢٨م، ثم رجع إلى لندن وعُين فيها بمعهد الصوتيات، ثم انتقل إلى كلية اللسانيات للدراسات الشرقية الافريقية في سنة ١٩٣٨م، وقد أسهم في الاعتراف باللسانيات العامة كعلم أكاديمي في الجامعات البريطانية، وهو أول من درسها.

## أهم أفكار فيرث

انطلق فيرث من ثنائيات سوسير التي فرق فيها بين اللغة والكلام، فمما ذهب إليه سوسير أن اللغة منتج جماعي مؤسس على التواضع والاصطلاح وأن الكلام فردي لا علاقة له بالبعد الاجتماعي.

إلا أن فيرث يرى أن اللغة ترتبط ترابطاً عضويًا بالمحيط الاجتماعي، وقد خالف سوسير فيما ذهب إليه في الكلام، فالكلام على الرغم من فرديته إلا أنه غير معزول عن المحيط الاجتماعي، فالكلام عند فيرث يحتاج إلى ضوابط وأحوال اجتماعية تكتنف التواصل لتحديد معانيه، وقد حصر هذه الأحوال فيما يُعرف بـ (النظرية السياقية) أو (سياق الحال أو المقام)، فتحديد المعنى يكون وفقاً للسياق.

### النظرية السياقية

صنّف فيرث السياق على قسمين:

١. السياق اللغوي: ويراد به السياق اللفظي بما فيه من أصوات وصيغ صرفية ومقاطع ذات نغمة منبورة، وسلاسل فوق مقطعية، وقواعد تركيبية نحوية، وجمل منظومة بعضها إلى بعض بعلاقات متشابهة.
٢. سياق الحال أو (المقام).

ووفق نظرية السياق فقد تعامل فيرث مع الثنائيات كالتالي:

١. الكلام واللغة: ينبغي أن يُدرس كل من الكلام واللغة على أنهما كتلة واحدة بالاعتماد على التحليل الوصفي الداخلي إلى جانب الدراسة من الخارج، فبالنسبة للأصوات والعلاقة بين النطق والصرف لا يمكن للباحث اللغوي إلا أن يلاحظ الصلة بينهما، والمثال على ذلك: إطالة الحركة في كلمة مثل (سافر) تجعلها مختلفة عن كلمة (سفر)، وهذا مايسمى بالسياق اللفظي، أو اللغوي.

ومن ثم علينا أن نأخذ بالنظر ما يتعلق بالسامع من عادات نطقية وسمعية وإدراكية، وهذا ما سمّاه بـ (السياق الخارجي).

٢. إن معرفة السامع بالإشارة اللغوية وعلاقة الدال بالمدلول لا تكفي لتحديد المعنى وإنما الذي يُساعد على تحديده فضلا عن السياق اللفظي (العُرف الاجتماعي)، أي أن فهمنا لقدرة الكلام على أداء وظائفه التواصلية يتطلب وضعه في السياق الاجتماعي، وجزء من هذا السياق هو الظروف التي تؤثر في عملية الاتصال، ومنها:

أ. الحالة المباشرة للمتكلم

ب. النشاط العملي الذي يصدر عنه في أثناء كلامه.

ت. وظيفة أداء الكلام وأهدافه.

ث. مستوى المتكلم الثقافي.

ج. مراعاة جنس المتكلم ذكرا كان أم أنثى.

وقد أدى التعمق في دراسة البعد الاجتماعي الذي ابتدعه فيرث إلى ظهور ما يُسمى بـ (علم اللغة الاجتماعي) في اللسانيات في وقتنا الحاضر.

### المحدثون العرب والوظيفية

إن الحديث عن الاتجاه الوظيفي في ثقافتنا العربية يقودنا إلى الحديث على عالم عربي بارز له جهد كبير في هذا الصدد، وهو الدكتور أحمد المتوكل الذي كان له الفضل في نقل الدراسة الوظيفية من الغرب إلى العربية وقدم أعمالا راقية لا تختلف عن مثيلاتها في الغرب منهجية وعلمية واتزانًا.

لقد حاول الدكتور المتوكل في مشروعه الوظيفي أن يتتبع ظواهر اللغة العربية في الفصحى والدارجة وأن يضع لها نحوًا وظيفيًا للغة العربية برصد خصائصها وصفًا وتفسيرًا، من غير أن يكون انقطاع في التراث؛ لأنَّ مشروعه يقوم على نقطة جوهرية وهي قراءة التراث اللغوي العربي يمكن من خلالها تحديد العلاقة التي تربطه بالدرس اللساني الحديث خاصة بما يتعلق بجوانبه الوظيفية، وقد كان تصوره للنحو العربي على النحو الآتي:

١. أنه يعد حقبة تاريخية لفكر وظيفي يشكّل امتدادًا للدراسة اللسانية الحديثة.

٢. أن يكون مرجعًا للدرس اللساني الحديث يُحتج به عند الحاجة.

٣. أن يكون مصدرًا يمدنا بمجموعة من المفاهيم والآراء والتصورات.

ومما يضاف إلى جهده أنه حاول أن يُغني الدراسة الوظيفية العربية من الأبحاث والمؤلفات التي تناول فيها عددا من القضايا اللغوية منها:

١. تحديد وظائف تداولية اللغة.

٢. دراسة القوة الانجازية التي تواكب الجملة العربية.

٣. إخراج نظرية النحو الوظيفي من حيز الجملة إلى حيز الخطاب.

## المراجع

- العربية والبحث اللغوي المعاصر، د.رشيد عبد الرحمن العبيدي.
- الاتجاه التوليدي في النحو العربي الحديث دراسة في فكر خليل أحمد عمارة، زكموط بوبكر (رسالة ماجستير).